

فلسفة الدين عند إدجار شيفلد برايتمان

عماد الدين إبراهيم عبد الرازق
باحث مصري



قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

المخلص:

تنتقل هذه الدراسة من فكرة أن الدين أو الخبرة الدينية غير منفصلة عن الإنسان وروحه الباطني وتطلعاته للعالم العلوي، وهو الذي دافع عنه الفيلسوف الأمريكي "برايتمان"؛ فالدين عنده هو امتلاك الفرد أو الجماعة لخبرة دينية تترجم في الشعائر والطقوس والعبادات. ومن ثمة، كان الدين، على وجه العموم، هو علاقة سامية غير آلية بين الفرد والله.

إن فلسفة الدين عند "برايتمان" تحاول أن تؤسس في جملة من المؤلفات والمكتوبات لفكرة الشخصية والتوحيد المتناهي والوحي وعلاقة كل ذلك لفكرة للعالم. من ذلك، كانت من أسس الخبرة الدينية وهو النظر في الإيمان ذاته كقوة تربط العالم الأرضي بالعالم السماوي أو العلوي. والوحي الذي يسهم كثيراً في ترسيخ الإيمان عن طريق الكشف. وأخيراً الهداية التي هي الغاية الإلهية. فهذه الأسس، إنما ترشدنا إلى النظر في مراحل تطور الخبرة الدينية التي تبتدئ بالتأمل كمدخل أساس لكل تفكير ديني في موضوعات الألوهية، وتنتهي إلى التعاون كفعل اجتماعي لا ينفصل عن مقتضيات الإيمان والخبرة الدينية. ويمكن القول إن من وسائل معرفة الله كموضوع لفلسفة الدين عند "برايتمان" هو التوسل بالوسائل التالية: الخبرة المباشرة مع الله والوحي ثم الإيمان الموثق في الكتب المقدسة. فهذه كلها تتعلق بالتفسير الديني. أما التفسير الفلسفي ينجلي في النزعات الأرسطية والكانطية والأفلاطونية والهيغلية، وهما تفسيران لا ينفصلان عن القول بأن العالم تحكمه رؤية باطنية ورؤية فلسفية على السواء. وهو الأمر الذي سوف يُترجم في الصراع بين العلم والدين، أو بين القيم المادية والقيم الباطنية الروحانية. والحال أن رؤية الفيلسوف الأمريكي "برايتمان" لا تسير في هذا المسار، إذ تعتبر أنّ الصراع كامناً بين فلسفة تقصي الدين، وفلسفة تشمل الدين!

وبكلمة، نقول إن فلسفة الدين عند "برايتمان" إنما هي فلسفة في تجديد النظر في الدين والخبرة الدينية على غير ما هو متداول عبر مفاهيم الإيمان والوحي والتعاون والشخصانية والخبرة.

أولاً: حياته

إذا رجعنا إلى بانوراما حياة هذا الفيلسوف الأمريكي اللاهوتي المسيحي، سنجد أنه ولد في العشرين من سبتمبر عام 1884 في بلدة "هولد بروك" "hold brook" في ولاية ماساتشوستس في الولايات المتحدة الأمريكية. ويعد برايتمان الابن الوحيد لراعي أبرشية يتبع التعاليم الميثودية "وهي تعاليم لطائفة مسيحية أسسها جون ويزلي، وسميت بذلك لأنها تدعى أنها متمسكة في أداء الشعائر الدينية بالمذهب الإنجيلي، وتؤكد هذه الطائفة على الأخوة والالتزام الأخلاقي وتمسكها الشديد بالإنجيل".

درس برايتمان في جامعة "براون" "brown" عام 1906 وحصل فيها على درجة البكالوريوس في اللاهوت "B.A" ودرجة الماجستير عام 1908، وحصل كذلك على درجة البكالوريوس في اللاهوت من جامعة بوسطن "Boston" عام 1910، ثم حصل بعد ذلك على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام 1912. وحصل على دراسات متقدمة في علم النفس من ألمانيا من جامعتي "برلين وماربورج" "Berlin - Marburg" ما بين عامي 1910-1912. ولقد ترسم قسًا ميثودياً عام 1912. ثم بعد ذلك تم تعيينه محاضراً للأخلاق والدين في جامعة "ويسليان في ولاية نبراسكا" "Wesleyan Nebraska" في الفترة ما بين عام 1915 و1919. وانتقل أخيراً إلى جامعة بوسطن عام 1919، وقام بتدريس الفلسفة فيها حتى وفاته عام 1953. وينتمي برايتمان إلى معسكر اللاهوت الليبرالي "التحرري" لذا تم انتقاده من قبل الأصوليين والمحافظين. ويسمى منهجه الفلسفي بالتجريبية العقلانية، ويسير مذهبه في الدين باتجاه التوحيد المتناهي أو المحدود.⁽¹⁾

ثانياً: مؤلفاته

- مدخل إلى الفلسفة (Introduction to philosophy)

- قيم دينية (Religious values)

- فلسفة المثَل (Philosophy of ideals)

- مشكلة الإله (Problem of god)

- إيجاد الإله (The finding of god)

¹ - http://en.wikipedia.org/wiki/Edgar-s-bright_man

- هل الإله شخص (Is god a person?)
- القوانين الأخلاقية (Moral laws)
- الحياة الروحانية (Spiritual life)
- الشخصية والدين (Personality and Religion)
- فلسفة الدين (A philosophy of Religion)⁽²⁾

ثالثاً: مذهبه الفلسفي

يعد برايتمان مهتماً بفلسفة الدين بوجه عام، وتسير فلسفته كلها في هذا الاتجاه، ومعظم مؤلفاته تتحدث عن فلسفة الدين، فهو في المقام الأول فيلسوف دين. ولقد تأثر في مذهبه الفلسفي بفكر وآراء " Borden parker Bowne" الذي يعد فيلسوفاً منهجياً يؤكد على أهمية الشخصية في فلسفة الدين، كذلك يمزج ويصنع أفكاره بمصطلح "التجريبية الترانسندنتالية" "المتعالية" ويقصد بهذا المصطلح أنه يوجد حقيقة واقعية أو واقع موجود أبعد من إدراكات الإنسان الحسية، ويؤكد كذلك على أهمية الحدس "intuition" في فهم الواقع. ولقد تأثر برايتمان بمفهوم الشخصية وأهميتها في مجال الدين، وشكل مع "Bowne" حركة سميت باسم "شخصانية بوسطن" ولقد عمل برايتمان على تطوير موقف "Bowne" فيما يتعلق بتطوير وجهة النظر الميتافيزيقية في فلسفة الدين، وتسمى هذه الرؤية باسم "التوحيد المتناهي" "finitistic Theism" بمعنى أن الله عنده هو موجود أو وجود ذات محدود، ويجب أن نشير إلى أن أفكار وآراء برايتمان الفلسفية كانت مرشدة وموجهة لأفكار "مارتن لوثر كنج" وانعكس ذلك بوضوح في تبني كنج لسياسة اللاعنف.⁽³⁾

رابعاً: طبيعة الدين

يرى برايتمان أن الدين هو امتلاك الفرد أو الجماعة لخبرة دينية معيشة، ويشير إلى أن الدين يشمل مجموعة من العقائد والمعتقدات المتعلقة بوجود أو قيمة سامية هي الله، ويتم التعبير عن هذه العقائد والمعتقدات بالعبادة والإخلاص لهذه القيمة السامية. ومن هنا يري برايتمان أنه يجب أن نرجع إلى الخبرة الدينية للفرد أو الجماعة، وذلك لأن ملاحظة شخص واحد يجب أن تضاف إلى ملاحظات ومشاهدات عدد كبير

² - http://en.wikipedia.org/wiki/Edgar-s-bright_man

³ - الموقع السابق

من أشخاص آخرين في مجال الدين كما في جميع المجالات والميادين الأخرى. وبناءً على ذلك، نستنتج أن الدين عند برايتمان يجب أن يبدأ من الخبرة الإنسانية، لأن هذه الخبرة تمثل علاقة الإنسان بقوة سامية عليا هي الله، ومن خلال هذه الخبرة يتم تعامل الفرد مع أفراد المجتمع.

ولقد فرق برايتمان بين الدين والسحر في معرض تعريفه للدين، عندما قرر أن الدين يختلف تمامًا عن السحر، لأن الدين عبادة لقوة سامية عليا تكون مصدرًا للقيم، بينما السحر يكون نوعًا من القسر أو الإلزام الآلي "الميكانيكي" لتلك القوى، ومن طبيعة الدين عنده أنه قد يتشابه مع كل من الأخلاق والفن في الاهتمام بالقيم، إلا أنه يختلف عنهما في تكريس العبادة للقوة أو القوى التي تكون مصدر القيمة الأسمى في الحياة، بالإضافة إلى استخدام الشعائر للتعبير عن هذه القيم.⁽⁴⁾ ونستنتج من ذلك أن الدين عند برايتمان يجب أن يبدأ من الخبرة الإنسانية، لأن هذه الخبرة تمثل علاقة الإنسان بقوة سامية عليا هي الله، والخبرة الدينية يقصد بها الإيمان سواء أكان هذا الإيمان يمثل منحة من الله أو هبة، أو أنه مبدأ قبلي، وتمثل هذه الخبرة علاقة الشخص مع الله أو خبرة الشخص في علاقته مع الله.

وهناك أسس وقواعد للخبرة الدينية تتمثل في:

1- الإيمان "Faith": يؤكد برايتمان أن الإيمان يمثل قاعدة أساسية ومبدأً جوهريًا للخبرة الدينية، لأنه يمثل عقيدة الإنسان في الله، كذلك يمثل سلوك الإنسان في الحياة في ضوء هذه العقيدة. ويعرف "الإيمان" بأنه يمثل استجابة الإنسان لموقف مركب من الخير والشر، عندما يجد الإنسان نفسه من خلال هذا الموقف، ويشير إلى قيمة الإيمان بقوله إنه ينقل الإنسان إلى آفاق سامية تتجاوز حدود نفسه، لأنها آفاق تتجه نحو الله. كما أنه يحقق التوازن والاتساق بين نظريتين: الأولى تقول إن الدين لا يكون مجرد عمل إنساني فحسب، ونظرية تقول إنه لا يكون عمل إلهي فقط.⁽⁵⁾ ويتفق تعريف برايتمان للإيمان مع المفهوم العام للإيمان، لأن الإنسان الذي يريد أن يعمل، باعتباره إنسانًا لا بد له من غاية، وكلما كان الإيمان شديداً قوياً كانت هذه الغاية مثلاً أعلى يختلف في سموه وتميزه عن الواقع. فالإيمان أولاً لا يبصر موضوعه إلا غامضاً وعن بعد، ولكنه يجتهد في تحديد هذا الموضوع بما يطابق حاجة العقل والإرادة، فالإيمان هو الذي يحقق التوازن الداخلي للإنسان بين قدراته بوصفه إنساناً وطموحاته وأهدافه ومثله العليا.

⁴ - Edgar Sheffield Bright man: **A philosophy of Religion**, prentice hall, new York, 1940, p. 14

⁵ - Ibid: p. 15

2- الوحي "Revelation": يمثل القاعدة الثانية من قواعد الخبرة الدينية، ويشير برايتمان إلى أنه بمجرد أن تصبح الخبرة دينية عن طريق وجود الإيمان تنشأ بصورة سريعة خبرة الوحي أو الكشف، وهذه الخبرة، أي الوحي، تقول إن الإيمان بالله نفسه بصيرة يفصح عنها ويوحى بها ويتم الكشف عنها، وبذلك تصبح مرشدًا وموجهًا للإنسان في حياته.

ويقسم برايتمان الوحي إلى قسمين:

أ- وحي عام

ب- وحي خاص

أ- الوحي العام

ويمكن الوصول إليه والحصول عليه مبدئيًا، كما أنه يكون سهل المنال لجميع الناس؛ فالوحي العام يمثل سلطة الله التي تتكشف للناس، إن خبرة القيمة السامية تكشف عن وجود مصدر أسمى لهذه القيمة. لا يحدثها الإنسان بإرادته، بل هناك قوى عليا تتكشف للإنسان من خلال سمو الإنسان بإرادته للوصول إلى هذه القوة.

ب- الوحي الخاص

ويكون له لحظات معينة وأوقات محددة، فهو يوجد في لحظات إيمانية سامية تسمى وحيًا خاصًا، ويمثل هذا الوحي، من وجهة نظر برايتمان، حالة خلاص الإنسان، خلاصه الفردي الشخصي.⁽⁶⁾

3- الهداية "Conversion": وتمثل الهداية القاعدة الثالثة من قواعد الخبرة الدينية، وهي، حسب برايتمان، خبرة العديد من الأشخاص بغض النظر كيفية تفسير هذه الخبرة. ويؤكد أن الهداية بالنسبة للموحد بالله هي تعبير عن الغاية الإلهية، ويرى أن الإيمان يفسر هذه الهداية بوصفها خبرة تكون الإرادة الإنسانية من خلالها في تفاعل مع الإرادة الإلهية من خلال فعل المشاركة والتعاون.⁽⁷⁾

⁶ - Edgar Sheffield Bright man: A philosophy of Religion, p. 416

⁷ - Ibid, p. 422

خامساً: مراحل تطور الخبرة الدينية

أ – التأمل "Meditation": ويقصد بالتأمل الديني التفكير في الله والموضوعات الإلهية، وإن فعل التأمل، علاوة على ذلك، يعكس علاقة النفس بالله، ويشكل التأمل الديني "الروحاني" جزءاً كبيراً من الحياة الباطنية للدين، فيذكر برايتمان، على سبيل المثال، أن التوراة احتوت نصوصاً عديدة تدل على أهمية التأمل في الله والتفكير فيه، كما في المزامير وفي إنجيل يوحنا.⁽⁸⁾

وبناءً على ذلك، نرى أن تأمل القيم الدينية والعقائد يكون ذا أهمية كبيرة وعظيمة في تكامل الشخصية الدينية، ويؤكد على قيمة وأهمية التأمل الديني من خلال الدور الذي يلعبه في الدين، لأنه بدون تأمل أو تفكير في العقائد الدينية سوف يصبح الدين ذا مظهر خارجي فقط؛ أي مظاهر شكلية وطقوس تؤدي دون روح، ومن هنا يفقد الدين قوته وجوهريته.

وعلى الرغم من أهمية وحيوية الدور الذي يلعبه التأمل في الدين، إلا أن برايتمان يؤكد أن هذا التأمل محفوفاً بالمخاطر أحياناً؛ لأن التأمل أو التفكير المطلق الذي يكون جوهرياً لحياة العقل بوصفه حياةً دينيةً، ربما يؤدي هذا التفكير وذلك التأمل إلى موت العقل، وهو ما يطلق عليه الموت الفكري، لأنه لكي تفكر في الله طوال الوقت كأنك بذلك تعوق وتمنع فعل الإرادة الإلهية.

ب- الصلاة (Prayer): تعد الصلاة أكثر تعبيراً عن الشخص، فهي ذاتية بصورة كبيرة، كما أنها أكثر تعبيراً عن التأمل، ولقد صنف برايتمان الصلاة إلى ستة أنواع هم:

1- صلاة التوسل (Petition) والتماس الأشياء المادية، مثل الصحة، فكل منا يسعى في حياته أن يكون صحيح البدن، لكي يستطيع القيام بأعباء الحياة، وهذه الأشياء المادية تكون دينية في حالة واحدة فقط، عندما يكون كل ما هو مادي مرغوب فيه وسيلةً من أجل تطوير القيم الروحانية فحسب.

2- صلاة التوسل والتماس القيم الشخصية والروحانية: وربما تكون هذه الصلاة أنموذجاً عاماً ومشاركاً بين الناس جميعاً، لأن الإنسان يشعر بضعفه وحاجته إلى المساعدة والعون الإلهي، فالإنسان في هذه الصلاة يطلب غايات وقيماً مفيدةً وذات نفع له. وهناك اعتراضان ضد هذا النوع من الصلاة: أما الاعتراض الأول، فيتمثل في أنانيتها؛ بينما الاعتراض الثاني فيتمثل في ضعفها. ويرد برايتمان على الاعتراض الأول بقوله إن

⁸ - Ibid, p. 425

الفعل يكون أنانيًا لو سعى لأخذ منفعة وفائدة من الآخر، أو لو استثنى واستبعد الآخر من الحصول على المنفعة أو الفائدة، لكن الاستجابة للصلاة من أجل القيم الروحانية والشخصية تكون بعيدة جدًا من استبعاد الآخرين.

3- صلاة التوسل وطلب المغفرة والصفح: ولا تكون من وجهة نظر برايتمان عامة ومشاركة بين جميع الأديان، بل هي مسيحية بصورة خاصة، ويعرفها بأنها صلاة الإنسان الذي يشعر بالندم على ارتكاب الإثم أو الخطيئة، ويرى المذنب أن الله هو الرحيم. وتمثل هذه الصلاة حالة خاصة من الصلاة من أجل القيم الروحانية والشخصية، كما أنها تعد نموذجًا متميزًا لأنها تمثل الإحساس بالذنب الذي يعد قيمة دينية مهمة.

4- صلاة العبادة والتوقير (Adoration): وهي على عكس الأنواع الثلاثة السابقة من الصلوات موضوعية. أما الأنواع الثلاثة السابقة، فهي صلوات ذاتية، ويقصد برايتمان بالصلوات الذاتية أنها تتجه مباشرة نحو زيادة وتعزيز القيمة في الخبرة الذاتية للفرد أو الشخص؛ أي الذات الدينية. أما صلاة التوقير والعبادة، فهي موضوعية لأنها تمثل توقير وتبجيل من جانب الفرد لله، وتكون هذه الصلاة تطهيرية تسمو بالإنسان لدرجة أعلى وأرقى.

5- صلاة الشفاعة (Intercessory): وهي اسم يعطى لصلاة لها غرض وهدف اجتماعي على نحو محدد وواضح، وهي صلاة موضوعية أي لها موضوع واقعي، إنها تمثل صلاة من أجل الآخرين، لأنها التماس وطلب المنافع الروحانية والمادية للآخرين، ويقارن برايتمان بين صلاة الشفاعة وصلاة التوقير والعبادة، فيرى أن صلاة الشفاعة تكون أسمى وأرفع وأنبل صلاة، لأنها تكون فعّالة وإيجابية واجتماعية وواقعية ملموسة، أما صلاة العبادة والتوقير فهي سلبية، كما أنها تمثل سلوكًا فرديًا وليس اجتماعيًا.

6- صلاة الشكر والتسبيح: وهي تمثل صورة مميزة من الصلاة التي تعبر عن البهجة والابتهاج في النفس لشكر الله على نعمته، وهي موضوعية في غايتها وهدفها، هذه الصلاة لا تطلب شيئًا ولا تلتمس شيئًا، إنها فيض غير أناني في القلب الشاكر والمعبر عن الشكر. ويرى برايتمان أنه لا يوجد اعتراض يمكن أن يثار ضد هذا النوع من الصلاة باستثناء هذا الاعتراض من بعض الذين يقولون إن الله لا يريد منا هذا الشكر، ولا يفرح ولا يبتهج به لأنه أسمى من كلمات الشكر التي تخرج على لسان الإنسان. ويرد برايتمان على هذا الاعتراض بقوله عن الأديان الفاشستية، وليس عن أديان الروح التي تهتم بالروح.⁽⁹⁾

⁹ - Bright man: personality and Religion, new York, 1943, p. 85

ج- التصوف (Mysticism): ويمثل المرحلة الثالثة من مراحل تطور الخبرة الدينية عند برايتمان، ويعرفه بأنه المعرفة المباشرة لله، بمعنى أنه لا يوجد وسيط سواء أكان هذا الوسيط عقلياً أم إرادة الشخص أو إرادة المجتمع، وهذه المعرفة الصوفية يمكن أن تتم عن طريق النور الباطني أو الرؤية الباطنية، وبطريقة تختلف عن الإدراك الحسي أو اصطناع التفكير العقلي. ويلفت الانتباه إلى أن الخبرة الصوفية ليست نوعاً منفصلاً عن الخبرات والتجارب، بل هي معرفة مباشرة بالله، ولقد تعرضت التجربة الصوفية لعدد من الانتقادات كما يري برايتمان ويُلخص هذه الانتقادات بـ:

1- أن هذه التجربة تكون ضد المجتمع منعزلةً عنه.

2- غيبية؛ أي منصرفه إلى العالم الآخر.

3- غير سوية؛ أي شاذة.

4- فيها نقص أخلاقي أو خلل أخلاقي.

وعلى الرغم من كل هذه الانتقادات، فإن برايتمان يرى أن ثمة نوعاً من الصوفية أو ناسكي الصوفية الذين يهتمون بالمجتمع ولا ينسحبون منه، كما أنه توجد تجارب صوفية تمثل عالم مكمّن النظام والموضوعية، والبصائر الجديدة.⁽¹⁰⁾

د- التعاون (Cooperation): يشير برايتمان إلى أن التفكير أو التأمل والصلاة والتصوف يكون إلى حد ما جوانب سلبية في الدين، يفكر الإنسان من خلال هذه الظواهر في نفسه بوصفه إنساناً يعتمد على غيره، والإنسان في هذه المراحل الثلاث يكون سلبياً (Passive) وليس إيجابياً، أما في مرحلة التعاون فيكون إيجابياً، لأن ماهية النشاط الديني تكمن، من وجهة نظره، في العمل والنشاط التعاوني. فالنشاط الديني تعاون ومشاركة الفرد في علاقة مع الله، لأنه بدون المشاركة المادية، والصلاة الاجتماعية للفرد مع الله في عبادات وشعائر، سوف لن يكون ثمة دين على الإطلاق.

وخلاصة القول إن هناك أربع مراحل للتطور ونمو الخبرة الدينية عند برايتمان. أما المرحلة الأولى، فهي التأمل الباطني الذاتي في الموضوعات الدينية، وهي مرحلة سلبية مختصرة على الذات الفردية ولا تتعدى حدود هذه الذات، بينما تمثل الصلاة المرحلة الثانية بالمعني الواسع لمفهوم الصلاة بوصفها صلة بين العبد

¹⁰- Edgar Sheffield Bright man: A philosophy of Religion, p. 428

وربه، ويتحقق من خلال للإنسان مشاركة الفرد في علاقة روحانية مع الله الهدوء والتوافق النفسي. ثم تأتي المرحلة الثالثة المتمثلة في التصوف تجربةً فرديةً روحانيةً تعتمد على تطهير النفس وسموها، وتجاوزها حدود العالم المحسوس للدخول في درجات من العبادة الروحانية الخالصة. أما المرحلة الرابعة، فهي التعاون الذي يمثل فعلاً اجتماعياً بناءً يساعد في تطوير القيم الروحانية، لأن الدين ما هو إلا صلة ومشاركة فردية في نشاط مع الله سواء في الصلاة أو غيرها من العبادات.⁽¹¹⁾

سادساً: طرق ووسائل معرفة الله

قبل الإشارة إلى هذه الطرق والوسائل يجدر بنا معرفة مفهوم الله عند برايتمان، إذ يرى أن الله روح شخصية واعية، لا متناهية ولا محدودة، ذات وجود مستقل، وهذا الوجود محدد ومقيد عن طريق العقل الأبدي السرمدى، وهي ظروف وقيود يفرضها على نفسه وليست مفروضة عليه من الخارج، وهذا الإله يتم النظر إليه على أنه فعال ومؤثر في الطاقات، سواء في المادة أو الحياة أو العقل. والله هو مصدر جميع الوجود، وإرادته تمثل الفاعلية والنشاط الذي يحدث بصورة أبدية وسرمدية، والله قادر على أن يحل جميع المشكلات التي تنتج من الشر عن طريق استخدامه بوصفه وسيلة للقيمة.

ولقد قسم برايتمان وسائل معرفة الله إلى مجموعتين، هما:

- المجموعة الأولى: وتشمل الخبرة المباشرة مع الله، والوحي، والإيمان.

أولاً: الخبرة المباشرة مع الله: وتمثل إحدى طرق معرفة الله، وتسمى بالتجربة الصوفية، ويشير برايتمان إلى أن عديداً من الأشخاص المتدينين، الصوفية على وجه الخصوص، يؤكدون امتلاكهم الخبرة المباشرة مع الله، وهي خبرة يقينية سماتها هامة لمعرفة الله، والحقيقة أن الخبرة المباشرة الصوفية لا يمكن النطق بها لأنها أقدس من أن تذكر، فهي أسمى من أن نعبر عنها أو أن نصفها، ويضرب برايتمان مثلاً لبيان أن الخبرة الصوفية مع الله لا يمكن وصفها أو التعبير عنها بقوله: إننا لا يمكن أن نعرف أو نحدد بدقة خاصية اللون الأرجواني أو رائحة عبير الورد، فكل شخص يحاول أن يعطي عبارة أو كلمة عن هذه الموضوعات، وهو يأمل أن تعبر الكلمات أو تشير إلى خبرة مشابهة ومماثلة، لكن الكلمات تكون بدون معنى. وبعد ذلك يتحدث برايتمان عن طبيعة الخبرة الصوفية بقوله إنها تمثل تجلي وحضور الله في نفس المتصوف، وهذه خبرة مباشرة يشعر بها كل إنسان في فترات حياته، ويشعر أن هناك جمالاً وحفاً يغمر نفسه ويفيض عليها، حتى أن

¹¹- Bright man: **problem of god**, Abingdon, New York, 1931, P. 35

العلمانيين، من وجهة نظره، يملكون في وقت ما تجربة ومعايشة للحظات صوفية، ولكن العناد يمنعهم من الاعتراف بها.

ثانيًا الوحي: وهو الطريقة الثانية لمعرفة الله، فإذا كانت الصوفية تؤيد فكرة الخبرة المباشرة مع الله، فإن هناك عددًا من المفكرين يرون أن الله يقع خارج نطاق الخبرة الإنسانية، ويشكك هؤلاء المفكرون في قدرات العقل الإنساني ويرون أن الخبرات الإنسانية تمثل قدرات الإنسان الذاتية فحسب، وهي تلك التي لا يمكن أن تكشف عن الله، والله عند هؤلاء المفكرين أمثال الكالفنيين، وكارل بارث، والمسلمين، وبعض الكاثوليك، يرون أن الله مختفٍ عن الإنسان إلا إذا كشف عن نفسه وأظهر نفسه لنا، وظهوره وتجليه وإعلانه عن نفسه يسمى الوحي أو الكلمة. ويشير برايتمان إلى أن الكتب المقدسة تضمن فكرة الوحي الإلهي، ويشير إلى أنه إذا كانت الخبرة الحسية تسمى خبرة طبيعية وخبرة القيم تسمى خبرة فائقة للطبيعة، فإن الدين هو بالفعل وحي فائق للطبيعة. والكمال والاستقامة العقلية، حسب برايتمان، أن نسلم بأن العقل يجب أن يثق بالروح الإلهية لترشده وتهديه لقبول الوحي الصحيح في حالة غياب الأدلة والبراهين العقلية.

ثالثًا الإيمان: وهو الوسيلة الثالثة من وسائل معرفة الله، ويرى برايتمان أن الله لا يعرف بالعقل الخالص فقط، كما في الرياضيات والمنطق الصوري، أو عن طريق التجربة الحسية. ويرى أن الخبرة الدينية في كل العصور تميل إلى تأكيد المعرفة الدينية من خلال الإيمان، ويلاحظ أن كلمة الإيمان استخدمت بثلاثة معانٍ مختلفة هي:

1- قبول الوحي أو التصديق به.

2- هبه أو منحة من الله.

3- الثقة.

ومن خلال عرضه لهذه المعاني، يرى أن المعنى الشائع في الأديان العامة هو أن الإيمان قبول للوحي على الرغم من الغياب التام للفكرة، في كل من العهد القديم "التوراة" وتعاليم المسيح. ومن هنا نستخلص أن الإيمان يمثل الطاعة والتسليم والقبول بجميع حقائق الوحي، وهو من المبادئ الأساسية والرئيسية ولا نستطيع أن نتخيل دينًا دون إيمان.⁽¹²⁾

¹²- Bright man: **the Finding of God**, New York, 1931, p. 95

- المجموعة الثانية: وتنشأ من التفسير الفلسفي للخبرة الدينية وتتمثل في المبادئ الأولية القبلية، والفعل، والاتساق المنطقي.

أولاً: المبادئ القبلية (Priori Principles): لقد عرض برايتمان وجهتي نظر في العقل من خلال حديثه عن المبادئ القبلية، وهما: وجهة النظر الأرسطية الكانطية، ووجهة النظر الأفلاطونية الهيجيلية. أما وجهة النظر الأرسطية الكانطية، فتعرّف العقل بأنه معرفة قبلية أولية، لأن المعرفة العقلية والمعرفة القبلية بمعنى واحد عند أنصار المذهب الأرسطي الكانطية. وفي مقابل تلك الرؤية تبرز وجهة النظر الأفلاطونية الهيجيلية التي تنكر وجود مبادئ قبلية أولية، إنهم يرون أن العقل هو أحد مبادئ الترابط المنطقي والوحدة الكلية، فهيجل يرى أن الحقيقي والجوهري يكون الكل، وهذا هو مفتاح العقل. والمقصود بالمبدأ القبلي عند برايتمان المبدأ الضروري، وهو سمة مميزة للخبرات في الكون المعطى، ويرى أن ثمة مبادئ أولية قبلية تحكم هذا العالم، كل مبدأ قبلي أولي يكون متصلاً بميدان خاص، ويذهب إلى أنه لو افترضنا وسلّمنا بوجود المبادئ الدينية القبلية، فإننا يجب أن نلجأ إليها من زاوية ورؤية نقدية.

ثانياً: الفعل: في مقابل وجهة النظر العقلية وأصحاب المبادئ القبلية يبرز أصحاب البرجماتية في أمريكا، الذين يؤكدون أنّ معرفة الله تتم من خلال الفعل، فيرى "بيرس"، على سبيل المثال، أننا يجب أن نطابق الموضوع بنتائجه وآثاره التي ندرك أن الموضوع يمتلكها، وكذلك يجب أن نطابق ونماثل الله بنتائجه وآثاره التي نتخيل أن الله يمتلكها. ويجب، من وجهة نظر البرجماتية، أن نأخذ في الاعتبار النتائج العملية لأي موضوع من الموضوعات، فيرى "ديوي" مثلاً أن كلمة عملي (Practical) تعني تكيف الكائن الحي مع بيئته. ويرى "شيلر"، وهو أحد البرجماتيين، أن أي شيء يشبع ويفي باحتياجات الإنسان يكون عملياً.

وقد تم الاعتراض على هذا الموقف من جانب برايتمان، لأنه يرى أن هناك صعوبات تنشأ عن وجهة نظر البرجماتية في النظر إلى الدين أو الله واتخاذ الفعل وسيلة لمعرفة الله، ويتساءل برايتمان إذا كان الفعل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة والصدق، وهل معنى هذا أن كل الأفعال تصلح لهذا؟ ويجب بقوله إنه ليس كل شيء يفعل داخل المعمل يكون تجربة معملية، وإذا كان البرجماتيون يشيرون إلى أن كل ما هو حقيقي يكون عملياً، فإن السؤال القديم "ماذا يقصد البرجماتيون بالعملي؟" سيبرز من جديد.

ونجد إجابة مختلفة من جانب كل واحد من الفلاسفة البرجماتيين، إذ يرى "شيلر" مثلاً، وهو أحد البرجماتيين، أن أي شيء يفى أو يشبع احتياجات الإنسان يكون عملياً، لكن مع ذلك يرى برايتمان أن كلمة الحاجات تكون عبارة غامضة وخادعة، لأنها تغطي وتشمل كل الطبيعة الإنسانية. وبناءً على ذلك يرفض برايتمان وجهة نظر البرجماتية في القول إن الفعل أو العمل هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله، ويرى أن الفعل

ليس هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله، لأنه عن طريق طبيعته الحقيقة لا يكون تفكيراً، بل مجرد معطى من معطيات التفكير. ولأن أهداف وأنواع الفعل ووسائله يجب أن تعرف وتحدد قيمتها عن طريق التفكير.⁽¹³⁾

ثالثاً: الترابط المنطقي (Coherence): ويمثل الترابط المنطقي أحد وسائل معرفة الله، فهو يمثل وسيلة لاكتشاف واختبار وفحص الحقيقة، حقيقة الله، ويعرف برايتمان الترابط المنطقي بانعدام التناقض ويشير إلى أن قراء الفلسفة معتادين على أن ينظروا إلى نظرية الترابط المنطقي باعتبارها صورة من صور الميتافيزيقا المطلقة، ويكون هدف اهتمامنا بالترابط المنطقي هو كونه معياراً للحقيقة والصدق. ويرى برايتمان أنه إلى جانب الترابط المنطقي بين النظريات نحتاج إلى خاصيتين للاتساق هما:

1- الاتساق والترابط بين النظريات وكذلك حقائق التجربة.

2- الترابط والاتساق المنطقي الذي يكشف العلاقات والقوانين والأهداف، ويشير إلى أنه إذا لم يوجد اتساق وترابط منطقي وإيجابي بين الحقائق ومفهوم الله فإننا نفتقد الوصول إلى الله. والعقل المترابط منطقيًا والمتسق يكون الطريق الصحيح للمعرفة، ويؤكد على ضرورة أن يكون الترابط والاتساق المنطقي هو الوسيط لجميع الطرق والوسائل الأخرى لمعرفة الله.

ويلفت النظر إلى حقيقة مهمة تفيد بوجود ثلاث مراحل مترابطة ومتسقة منطقيًا في عملية المعرفة وهي:

1- مرحلة جمع كل الحقائق، وهذه الحقائق تتضمن معطيات التجربة ما قبل العلمية.

2- تركيب بعض الفروض التي تعمل على تفسير الحقائق والوقائع.

3- مرحلة التحقق من هذه الفروض.⁽¹⁴⁾

سابعاً: العلم والدين

يطرح برايتمان سؤالاً مهماً يقول: هل العلاقة بين العلم والدين علاقة تعارض وصدام، أم علاقة تكامل وتعاون؟ ويجب على هذا السؤال بقوله إنه يبدو للوهلة الأولى أن العلاقة بين العلم والدين هي علاقة تناقض وتعارض، ويضرب مثلاً على ذلك بأن نظريات "كوبرنيكوس" في علم الفلك ودارون في التطور ونظرية "هارفي" في الدورة الدموية، قد تمت معارضتها من جانب عدد كبير من رجال اللاهوت في أوروبا، ولكن بعد

¹³ - Bright man: **Religious values**, New York, Abingdon press, 1925, p. 97

¹⁴ - Bright man: **Persons And Values**, Boston University Press, 1952, p. 37

فترة من الزمن وافق رجال الدين على هذه النظريات العلمية، ثم يستعرض حقيقة ما يبدو أنه صراع، عن طريق توضيح طبيعة مجال كل من الدين والعلم، ويرى أن هناك قضيتين مهمتين يجب أن نشير إليهما، وهما:

1- أن التقدم العلمي يقوض، أو على الأقل يضعف، بطريقة حتمية السلطة الحرفية (literal).

2- يرى برايتمان أن الصدام والتعارض العميق بين الدين والعلم يكمن في المجال المختلف لكل منهما، بمعنى أن لكل منهما ميدان مختلف عن الآخر، وعليه فإن الرؤية العلمية تختلف عن الرؤية الدينية، مما يحدث صراعاً ظاهرياً بين الدين والعلم، وذلك لأن رجل الدين ينظر للعالم والواقع الخارجي على أنه ترتيب للقيم الروحية، أما العالم فإنه ينظر للعالم الخارجي على أنه نظام مادي طبيعي يتطابق مع القوانين الآلية الميكانيكية. وقد أدى هذا التعارض بين المجالين إلى أن يرفض الدين العلم، ويرفض العلم الدين، فحدث هذا الصراع، ورغم هذا التعارض الظاهري بين العلم والدين، فإن برايتمان يؤكد على أنه ليس هناك تعارض حقيقي، بل هناك تكامل وتعاون، لأننا نعترف بوجود حقائق علمية وأخرى دينية، ولا نستطيع أن نغفل واحدة من هذه الحقائق على حساب الأخرى. كما أن الإنسان هو محور كل من العلم والدين، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فالإنسان هو الذي يقوم بالتجارب العلمية، والتجارب العلمية تنطبق عليه، والدين يقوم على الخبرة الشخصية الإنسانية كذلك. من هنا يؤكد برايتمان على أننا يجب أن نأخذ بكل من العلم والدين في التعريف والتفسير الفلسفي للواقع، ويؤكد على أن الصراع الحقيقي ليس بين الدين والعلم، بل بين الفلسفة التي تستبعد وتقصي الدين، وفلسفة أخرى تتضمن وتشمل الدين.⁽¹⁵⁾

ثامناً: طبيعة القيم الدينية

لقد عرّف برايتمان الدين من قبل بأنه يمثل خبرة قيمية؛ أي أن هذه الخبرة تحمل بداخلها قيمة عليا، ويضرب مثلاً على تلك الخبرة الدينية القيمية تجربة السيد المسيح المأساوية على الصليب، فمعاناة السيد المسيح ستكون ألباً بلا معنى ولا مغزى إذا لم تكن من أجل التقدير الديني للإله، بمعنى أنّ هذه المأساة لا بد أن تحمل قيمة دينية، هذه القيمة هي التي جعلت المسيح يتحمل الألم والمعاناة من أجل الله ومن أجل خلاص البشر. وعليه فالدين، حسب برايتمان، هو اختيار للقيمة، ثم يعرف القيمة بأنها كل شيء يكون مستحسناً ومرغوباً ويقدره الإنسان في أي وقت.

ولقد قسم القيم إلي قسمين هما:

¹⁵- Bright man: Religious values, p. 97

أ- قيم ذاتية أو باطنية (Intrinsic)، وهي قيم حاضرة مباشرة تمثل الغايات.

ب- قيم أداتيه، تمثل وسائل وسيطة ومساعدة.

فالقيم الذاتية الباطنية هي كل ما يكون مرغوباً فيه من أجل غرضه الخاص أو هدفه الخاص، وتمثل هذه القيم غايةً وهدفًا في ذاتها، أما القيم الأداتية فهي وسائل لإنتاج وإحداث خبرة القيمة الذاتية.

ومن أهم القيم الدينية عند برايتمان قيمة الإلزام، فهو يؤكد على وجود علاقة وطيدة بين الإلزام والدين، وأن كل دين يحمل بداخله إلزامًا، وليس من الضروري أن الإلزام يحمل بداخله دينًا، ويعرف الإلزام بأنه الإقرار والتسليم والاعتراف بأنني يجب أن أفعل هذا الفعل أو ذاك، وكذلك الإلزام يعني من وجهة نظره إلزام الشخص نفسه بأداء الواجب، والإنسان الذي يعيش تجربة الإلزام هو إنسان يشرع لنفسه أو يسن القوانين، أي يشرع من خلال قانون عام. فالإلزام يمثل عنصرًا فريدًا في خبرة الواجب، وخبرة الواجب لا تكون شعورًا مجردًا، إنها جزء من التشريع أو سن القوانين، وعندما أقول "أنا يجب" فإنها تشير إلى شيء أكثر من مجرد الوعي، بل تعني "أن يجب" أنا أوافق على المبدأ الذي عن طريقه أعمل الآن. وي طرح برايتمان سؤالاً مهماً يقول: لماذا يكون الإلزام ملزمًا؟ ولماذا يجب أن تكون عبارة "يجب أن" قاعدة لحياتنا عندما تتعارض مع العديد من رغباتنا؟ والإجابة عنه تتمثل في:

1- الإلزام يكون ملزمًا لأنه يكون مفروضًا ذاتيًا، أي يفرضه الإنسان على نفسه.

2- الإلزام يكون ملزمًا لأنه يكون عقائديًا؛ أي منسوبيًا إلى العقل.

ولنا بعد ذلك أن نطرح السؤال التالي: ما أهمية الإلزام بوصفه قيمةً بالنسبة للدين؟ الإجابة كما يرى برايتمان تتمثل في أن الإلزام الأخلاقي مهم جدًا بالنسبة للدين، وكذلك يمثل هذا الإلزام خبرة مباشرة، ولا أحد يستطيع أن يشكك بوجود القيم والإلزام، من أجل ذلك يقوم المجال الكلي للخبرة الدينية على أساس الوفاء بالإلزام الأخلاقي. ويرى أن الإلزام والقيمة موجودان داخل الإنسان، في الوجود العميق للنفس البشرية.

ويؤكد برايتمان أننا نوافق على الافتراض القائل إن الدين والأخلاق حقيقيان بصورة أساسية، فإذا كان الدين يمثل واقعة حقيقية، فإن الإلزام يصبح جزءً أساسيًا وجوهريًا من الحياة الأخلاقية، والإقرار والتسليم بصحة وجود الدين يحمل معه إلزام بتحقيق قيمته، كما أن الدين الحقيقي والصحيح يطبع قوانين العقل والإلزام.

ومن أهم القيم قيمة العبادة (Worship) فالعبادة تمثل قيمة دينية سامية، ويتم تقديم موضوع العبادة لغالبية الناس من خلال التقاليد والأعراف الدينية للجماعة التي ينتمون إليها؛ فالبدائي عبد وقام بتجربة العبادة بغض

النظر عن المعبود الذي عبده، والعبادة لا تملك تفكيراً يتعلق بصدق الدين وقيمته، ومنذ بداية الإنسان الأولى ونشأته نجد أنه قام بفعل العبادة، لأن الدافع والحاجة والعادات والتقاليد قد دفعته لفعل ذلك، ولقد عرف برايتمان العبادة بأنها تمثل موقف الفرد تجاه الله.

ويؤكد برايتمان على حقيقة هامة تتعلق بالعبادة، وهي أنها ليست كل ما في الحياة، وليست كل الدين، لأن الدين من وجهة نظره يتضمن ما هو أكثر من العبادة، فالدين يشمل العقيدة، والعقيدة ليست عبادة، العقيدة تمثل افتراضاً مسبقاً للعبادة. والإنسان يجب أن يعتقد أولاً بموضوع ما يستحق عبادته قبل أن يستطيع أن يركع ويسجد ويعبد، ولا يكون فعل العقيدة هو فعل العبادة.⁽¹⁶⁾ وثمة أربع مراحل للعبادة، هي:

1- التأمل الديني أو الروحاني.

2- الوحي.

3- المشاركة، أي تبادل المشاعر والأفكار.

4- التحقق؛ أي تحقق هذه المراحل السابقة.

وهذه المراحل غير منفصلة بعضها عن بعض، كما يري برايتمان، بل يبدو أحياناً أنها تحدث في وقت واحد تقريباً، فتشمل المرحلة الأعلى التي تسبقها في القائمة؛ أي المرحلة الأدنى في الترتيب.

المرحلة الأولى: تتمثل في التأمل، وهو عبادة في تعبيراته وعباراته الأدنى، والتأمل الروحاني أو الديني يشمل ما هو أكثر من الاعتقاد بالله. ويقصد بالتأمل أقصى تركيز ممكن للانتباه، وهو الفكر التبجيلي الموقر لله، فالإنسان يتأمل ويفكر في لغز وسر الخالق، ومع ذلك هذه المرحلة في العبادة تكون ناقصة دون مرحلة أعلى تتضمنها وتحتويها.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الوحي، ففي التأمل يطلب الإنسان ما يحتاج، أما في الوحي فالله هو الذي يعطي ويمنح، وفي التأمل يكون موقف الإنسان فعلاً، أما في الوحي فيكون سلبياً، ومع ذلك فإن أحدهما ضروري للآخر، فالتأمل يهيئنا لاستقبال وتلقي أحكام الله في شخصيتنا.

¹⁶- Bright man: Religious values, p. 89

المرحلة الثالثة: مرحلة المشاركة والصلة الحميمة مع الله، هذه الصلة تختلف عن الصداقة والصحبة مع الأصدقاء، سواء أكانوا حاضرين أم غائبين، وهذه العلاقة تشبه علاقة رب الأسرة مع أعضاء وأفراد أسرته، والصلة الحميمة مع الله تمنح الإنسان شعورًا وإحساسًا أنه عضو في كل متكامل.

المرحلة الرابعة: هي تحقق هذه المراحل أي نتاج وثمار العبادة، فالعبادة تحقق كثيرًا من الثمار الطيبة الناضجة، ومن هذه الثمار الحب والمتعة والسلام والإيمان. فالإنسان يشعر بثمره العبادة داخلته من خلال سمو الروح، والشعور بالأمن والسكينة والطمأنينة، ولا بد من العبادة المخلصة لكي تثمر ثمرتها الحقيقية. ويجد العابد ثمرة هذه العبادة من خلال وجود قيمة سامية عليا في الحياة يسعى إلى تحقيقها، ويشعر الإنسان من خلال العبادة بميلاد جديد داخل روحه نتيجة ثمرة هذه العبادة.⁽¹⁷⁾ من هنا نرى أن أفعال العبادة تفي بمطالب واحتياجات الإنسان الروحية، فهي تشبع رغبات النفوس الورعة التقية، وتضفي على النفس السكينة والهدوء والأمان، ويشعر من خلالها العابد بلذة روحية لا يعرفها من لم يجرب هذه العبادة المخلصة الورعة. كما أن العبادة تمثل صلة الإنسان بالله، وهي من أهم قيم الدين، بل من أهم القيم السامية للدين.

تاسعًا: مفهوم الشخصية عند برايتمان

يؤكد برايتمان على الشخص الإنساني بوصفه مفهومًا أساسيًا في تفسير الواقع، ويعتبر الشخصية أرقى وأعلى أنواع الفردية، وهي مقولة من المقولات التي تحكم الوجود. ويشير برايتمان إلى أننا يمكن أن نجد تعريفًا مناسبًا للشخصية في حدود عملية الوعي، وإذا كان برايتمان قد نظر إلى الشخصية، باعتبارها وعيًا فإن هذا لا يعني أبدًا أنه أنكر وجود الجسد، بل هو يريد أن يركز على الواقعة الأساسية للخبرة وهي الوعي، وأن هذا الوعي يقر بوجود العقول الأخرى، ولا ينكرها على طريقة المذهب الأنوي. وثمة ثلاثة أسس ومفاهيم عامة تحدد ماهية الشخصية عند برايتمان هي:

1- العقل: ويعني القدرة على اختبار الحقيقة من خلال معايير تجريبية ومنطقية، وفوق ذلك كله إدراك العلاقات بين الجزيئات والكليات من خلال التحليل.

2- الوعي بالمعايير الإلزامية: إن الوعي بالمعايير الإلزامية هو خبرة الإنسان بقدره الذي يحتتم عليه الالتزام بالسعي نحو القيم المثالية وتحقيقها، وتتطور الشخصية الإنسانية عندما تنتقل هذه المثاليات معها وتتحول إلى خبرات متعينة للقيمة.

¹⁷- Bright man: Persons And Values, p. 41

3- الحرية: تمثل عنصرًا جوهريًا في الشخصية، وينظر برايتمان للحرية على أنها القدرة على الاختيار، ورغم إيمانه بالحرية سمةً جوهريّةً للشخصية، فإنه يعد الوعي هو الفاصل الأعلى بين الذات والشخص. (18)

ولا يتحدد الفرق بين الشخصية وبيئتها بشكل صارم ودقيق بصورة دائمة، إلا إن التفرقة بينهما تعد أمرًا مفيدًا، فالحقيقة أن هذا الأمر يعد من الأمور الضرورية إذا كنا نرغب في الوصول لمفهوم واضح للشخصية على نحو ما من الوضوح. فالشخص يكون في حالة ثابتة ومستدامة من الاعتماد على البيئة والتفاعل معها، وانطلاقًا من الشخص الواعي باعتباره نقطة مرجعية، يصف برايتمان بيئته بأنها بيئة بيولوجية وفيزيائية واجتماعية ومنطقية ومثالية وميتافيزيقية.

1 - البيئة البيولوجية: وتتكون من المخ والجهاز العصبي وتكون في حالة من علاقات التفاعل الداخلية المباشرة مع الشخص، وكذلك مع النظام الكائن للكائنات الحية في الطبيعة العضوية.

2 - البيئة الفيزيائية: وهي الطبيعة غير العضوية؛ أي الأرض والهواء والشمس.

3 - البيئة الاجتماعية: وتتكون من الأشخاص الآخرين الذين تربطنا بهم علاقات متبادلة.

4 - البيئة الميتافيزيقية: وهي الواقع الكلي الذي يعتمد عليه، والقوة الميتافيزيقية السرمدية المهيمنة على هذه البيئة هي عند برايتمان الإله المحدود (finite god).

ويرى برايتمان أن الأشخاص بمثابة أسباب ومسببات في آن واحد، إنهم يتمتعون بالجانبين الإيجابي والسلبي كليهما، كما أن لديهم القدرة على أن يختاروا ويبدؤوا في أنظمة معينة من السلوك الجسدي، وفوق ذلك يعتمدون على البيئة في وجودهم. (19)

عاشراً: الحياة الروحية

تتحقق الحياة الروحية للشخصية الإنسانية في الدين، فقد نظر برايتمان إلى الدين باعتباره حياة روحية، ومصدر الدين هو أن ثمة أشخاصاً ذوي ذوات واعية تتمتع بالقدرة على تطوير قيم مثالية، ويرى أن القيم الروحية تمثل المفتاح الوحيد لتحقيق أي معنى حقيقي في التاريخ أو الحياة الفردية، إنها تلك الروح التي تمنح الطبيعة معناها، فالبعد الروحي هو البعد الأهم في حياة الإنسان، وهو غايته القصوى. ويرى برايتمان أن

¹⁸ - Bright man: personality and Religion, p. 16

¹⁹ - محمد عثمان الخشت، الشخصية والحياة الروحية في فلسفة الدين عند برايتمان، القاهرة، دار قباء الحديثة، 2006، ص 71

الإنسان الديني لا يجد الأمن أو القناعة في الجانب المادي الخالص من الحياة، لذا يتجه نحو الجانب الروحي للحياة. كما أن المثاليات الروحية هي ذلك الشيء الذي يجعل الإنسان إنساناً، كما أنها تجعل الإنسان منسجماً مع الإلهي، إذ إن وجود الشر والرذيلة المفرطة في الإنسان يعود في كثير من الأحيان إلى عدم التزامه الدقيق بهذه القيم المثالية، أو يعود إلى التوزيع المجحف لوسائل التوصل إليها. وبدون هذه القيم الروحية يتم سلخ الإنسان عن هويته، كما يتم نزع السمة الإنسانية منه، وفي هذه الحالة لن يكون سوى حيوان بهيم.⁽²⁰⁾

وعليه، فإن القيم الروحية تمثل المفتاح الوحيد لتحقيق أي معنى حقيقي في التاريخ أو في الحياة الفردية، إنها تلك الروح التي تمنح الطبيعة معناها، كما أنها تجد معنى على الرغم من الطبيعة. وهذا المعنى يحققه الإيمان بالدين عند بول تليتش الذي يشير إليه برايتمان صراحة، فالإيمان هو اكتشاف أن كل شيء في حياة الفرد له مغزاه وقيمه على قدر ما يتصل بالوجود المتعالي. والإيمان بوصفه اهتماماً قصياً، أي بالله الأقصى، فهو فعل للشخصية كلاً، ويحدث في مركز حياة الشخص، ويتضمن كل عناصرها فيشارك في كل ديناميات الحياة الشخصية، محققاً شجاعة الكينونة بقطبيها الفردانية والمشاركة، لأن مصطلح الاهتمام القصي يوجد بين الجانبين الذاتي والموضوعي، ففعل الإيمان ذاتي من حيث هو مركزي للشخصية، وموضوعي من حيث إن فعل الإيمان يتجه إلى القصي ذاته.⁽²¹⁾

أحد عشر: وحدة وهوية الشخصية

تحتل قضية وحدة وهوية الشخصية أهمية خاصة بالنسبة للدين عند برايتمان، لأسباب عديدة، فإذا لم يكن الشخص يملك وحدة وهوية حقيقية خلال التغيرات التي يمر بها في خبرته كافة، فحينئذ سوف يكون التطور الروحي من دروب المستحيل، ويعتمد النمو الأخلاقي، على سبيل المثال، على مبدأ أن الإنسان مسؤول أمام نفسه عن أهدافه الماضية وتعاقباته. وإذا كان الإنسان ليس حاملاً لهذه الأهداف ومسؤولاً عن هذه العقود، فلن يتحمل المسؤولية. كما أنه لم يمر بأي نمو مستمر، فإن لم يكن الإنسان شخصاً واحداً، فإن كل أمل في الحياة الروحية والبقاء الأبدي يصبح أمراً غير معقول، وإذا كانت الشخصية ليست وحدة ذات هوية حقيقية، فمن غير المعقول اعتبار الله شخصاً من الأشخاص، سواء أكان مطلقاً أم محدوداً.⁽²²⁾

²⁰- Bright man: philosophy of Ideals, New York, 1928, p. 28

²¹- Bright man: philosophy of Religion, p. 20

²²- Bright man: personality and religion, p. 25

وهكذا، فالقول بوحدة وهوية الشخصية يمثل ركناً ركيناً بالنسبة للدين والحياة الروحية، بل بالنسبة لمذهب برايتمان في فلسفة الدين التي تقوم على مفهوم الشخص سواء أكان إنسانياً أم إلهياً، فمفهوم الشخص المسؤول لا معنى له بدون وحدة وهوية الشخصية، ويرى برايتمان، بحكم إيمانه الديني، أن وحدة الشخصية الإنسانية لا بد أن تعود لسبب يتجاوز الإنسان ذاته، علماً بأن الجهاز العصبي للإنسان هو المحيط الذي تعمل تلك العلة من خلاله، ومن المعروف أنه إذا كان الجهاز العصبي جوهرًا ماديًا مستقلاً عن الخضوع لأي عقل، فإن الشخصية تكون ظاهرة ثانوية، كما أن وحدتها تكون مجرد ظلال. أما إذا كان الجهاز العصبي هو ذلك الذي يأخذ به مذهب المثالية ومذهب الإيمان بوجود الله أي أنه تعبير أو إبداع للعقل، فإن اعتماد الشخصية الإنسانية على جهازها العصبي هو حالة لا اعتماد العقل الإنساني على العقل الكوني.⁽²³⁾ ويضع برايتمان نظريته في مقابل نظرية مذهب الوعي المظهري الثانوي (the theory of epiphenomenalism) والنظرية التحليلية، والنظرية الجوهرية، والنظرية العضوية.

1 - نظرية الوعي المظهري الثانوي: يتبع بعض علماء النفس والفلاسفة نظرية مذهب الوعي المظهري الثانوي مثل "هكسلي"، وهي نظرية تقول إن التأثير بين الفيزيائي والعقلي له طريق واحد، فالفيزيائي ينتج العقلي، ويعد أنصار هذه النظرية الوعي نتيجة فقط وليس سبباً أو علة تحت أي ظرف، فالوعي هو المحصلة النهائية للعمليات الفسيولوجية. لكن الشكل الذي انتشرت فيه نظرية الوعي المظهري الثانوي عند أنصار المادية، وعند أنصار المذهب الطبيعي الآلي في القرن العشرين، يعارض مذهب التوازي الذي ينفي التأثير والتأثر مطلقاً.⁽²⁴⁾ وقد رفض برايتمان نظرية الوعي المظهري الثانوي، وأشار إلى وجود نقطتي ضعف فيها:

الأولى: أن معرفتنا الفسيولوجية لا تكفي لضمان مثل هذا التأكيد الجازم الذي تقول به هذه النظرية.

الثانية: هي الأعم أهمية، ومفادها أن كافة العمليات التجريبية تفترض مسبقاً وجود ذات نمطية موحدة، بمعنى أن الذات تكون شرطاً للمعرفة. فموضوعات المعرفة تحتاج إلى ذات تعرف تلك الموضوعات.

وخلاصة موقف برايتمان من الشخصية أن الذات الكلية أو الشخص يتكون من الخبرة الواعية الموجودة أو التي كانت موجودة أو التي ستوجد برمتها في كافة المواقف التجريبية التي تشكل تاريخ الشخص، ومن ثم

²³- Bright man: philosophy of Religion, p. 196

²⁴- Ibid: p. 198

فإن وحدة الشخصية هي وحدة الوعي، إذ إن الشخصية تتضمن الوعي لا غير، كما أنها تتضمن أيًا من مكونات البيئة الفيزيائية بوصفه جزءًا منها، كما لا تتضمن المكونات الاجتماعية.⁽²⁵⁾

الخاتمة:

نرى من خلال كل ما سبق، أن إدجار شيفلد برايتمان يعد من أهم فلاسفة الدين الأمريكيين، وقد ساهم بمؤلفاته في إثراء فلسفة الدين، وعالج كثيرًا من القضايا الهامة التي تتعلق بفلسفة الدين. ومن أهم هذه القضايا إثبات وجود الله والبرهنة عليها، وكذلك قضية الوحي التي تمثل قضية جوهرية بالنسبة لفلسفة الدين. وقضية الإيمان الذي يمثل عنصرًا أساسيًا بالنسبة للدين، لأنه دون الإيمان لا يوجد دين.

ولقد تبني برايتمان مفهوم الشخصانية الدينية، لأن الدين من وجهة نظره يعتمد على الشخصية، وأن الشخص يمثل محورًا أساسيًا في الدين، كذلك تمثل القيم الروحانية، مثل الإلزام والعبادة، العمود الفقري للدين، والعبادة تمثل أهم القيم الروحانية في الدين، لأنها تمثل علاقة الإنسان بالله. والحياة الروحية للإنسان لا تتحقق إلا في الدين، فمن خلال الدين يجد الإنسان الراحة والهدوء والسكينة والطمأنينة، ويحقق الإنسان أهدافه الروحية من خلال الدين. وعليه يمثل الدين علاقة الإنسان الوثيقة بقوة سامية تهيمن على هذا الكون وهو الله. ولقد وصف برايتمان الله بصفات كثيرة منها القدرة الكلية، والخير المطلق.

كما تطرق برايتمان لقضية علاقة الدين بالعلم، وهل هذه العلاقة علاقة تصادم وتعارض، أم علاقة تعاون وتكامل؟ وتوصل في النهاية إلى أن هذه العلاقة علاقة تعاون وتكامل، فكل من الدين والعلم يكمل أحدهما الآخر، ورغم اختلاف مجال كل من العلم والدين، إلا أنه في النهاية ليس بينهما أي نوع من التعارض، ولا يستطيع أن يستغني أحدهما عن الآخر، فمجال العلم هو المجال المادي الطبيعي، أما مجال الدين فهو المجال الروحاني، وكلا المجالين يكمل أحدهما الآخر. ولا يستغني الإنسان في حياته عن الماديات والروحانيات، لأن الإنسان يحتاج للمجالين كليهما. وأكد برايتمان في مجمل ما قدمه أن الدين يمثل قوة دافعة في حياة الإنسان لا يستطيع أن يستغني عنه.

²⁵- D.w.Hamlyn: **Metaphysics**, Cambridge, 1984, p. 165

مسرد الهوامش والمراجع:

- محمد عثمان الخشت: الشخصية والحياة الروحية في فلسفة الدين عند برايتمان، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2006.
- Edgar Sheffield Bright man: A philosophy of Religion, prentice hall, new York, 1940
- Bright man: personality and Religion, new York, 1943.
- Bright man: problem of god, Abingdon , New York , 1931
- Bright man: the Finding, New York of God, 19315
- Bright man: Religious values, Abingdon press, New York , 1925.
- Bright man: Persons And Values, Boston University Press, 1952.
- Bright man: philosophy of Ideals, New York , 1928.
- D.w.Hamlyn: Metaphysics, Cambridge,1984.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com